جامعة قاصدي مرباح ورقلة *كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية / قسم العلوم الاجتماعية :
الملتقى الوطني الثاني حول : الاتصال وجودة الحياة في الأسرة
أيام 10/09 أفريل 2013

الإصغاء كوسيلة تواصل في بناء علاقات أسرية :

د/ عواريب لخضر. قسم العلوم الإجتماعية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
جامعة قاصدي مرباح / ورقلة

أ/سلام بوجمعة. قسم العلوم الإجتماعية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
جامعة قاصدي مرباح/ورقلة

مقدمة:

إن الإنسان مهما كان صغيرا أو كبيرا بحاجة إلى شخص أو أشخاص آخرين يصغون إليه و يتواصلون معه .

و الطفل بصفة خاصة بحاجة إلى أذن صاغية من أهله و أسرته حتى يبثهم همومه و مشاغله و حتى يعبر عن إفكاره و مشاعره ، لكن الأسرة كثيرا ما تنظر إليه على أنه طفل صغير و أنه ليست له تجربة في الحياة يمكن الاستفادة منها ، و بالتالي فإن كل ما يقوله مجرد لغو لا طائل من ورائه هذا الأسلوب في التعامل مع الطفل من شأنه أن يؤدي إلى الكثير من الأخطار التي تنعكس سلبيا على شخصية الطفل و مستقبله ، و للتأكيد على أهمية الإصغاء و التواصل مع الطفل نريد أن نتعرض في هذه المداخلة
إلى العناصر التالية:

أولا : تعريف الإصغاء:

الإصغاء مصدر الفعل أصغى و يعني الاستماع باهتمام و انتباه ، قال تعالى : " و لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ..." سورة الأنعام كما يعرف الإصغاء كذلك بأنه التوجه نحو الآخرين و نحوما يحاولون التعبير عنه و يبدأ بفهم الإطار العام لما يدلي به المتحدث و ما يتضمنه هذا الإطار داخلياو إرسال استجابات من المصغي تساعد المتحدث على التعبير عن أفكاره و مشاعره و أحاسيسه مع التركيز على الاستماع لكل شيء يقال و ليس ما يريد أن يسمعه فقط.

أهمية الإصغاء في العملية التواصلية:

تتجلى أهمية الإصغاء في النقاط التالية:

1- يعتبر الإصغاء جزءا مهما من الاتصالات الإنسانية فلا يمكن أن نتصور اتصالا حقيقيا بدون توفرعنصر الإصغاء.

2- يساعد الإصغاء على معرفة قدرات الآخرين و الكشف عن مواهبهم و إمكانياتهم.

3- يساعد الإصغاء على التخفيف من غضب المتحدث و رفع معنوياته و تشجيعه على الاستمرار في الحديث.

4- يساعد الإصغاء على الإحاطة بالحقائق و المعارف التي ينطوي عليها الموضوع المصغى إليه.

4 – العوامل المساعدة على الإصغاء الإيجابي:

هناك مجموعة من العوامل تساعد على الإصغاء الجيد و من ثم تضمن نجاح العملية التواصلية و تتمثل
هذه العوامل في:

1- تركيز الذهن في الموضوع المصغى إليه و إهمال ما عدا ذلك من المواضيع التي يمكن أن تشوش على الإصغاء .

2- تجنب بعض التصرفات التي تؤثر سلبا على سير الإصغاء مثل : تحريك الرجلين ، النقر على سطح معين أو فرقعة الأصابع...إلخ
3- عدم الالتفات إلى عناصر أخرى جانبية مثل الالتفات إلى الديكور الموجود في القاعة أو الرد على المكالمات الهاتفية و غير ذلك من المعوقات التي تعوق العملية التواصلية,
4- إظهار الاهتمام ببعض التصرفات و الحركات التي تعطي انطباعا للمتحدث بأن المصغي يهتم و يتفاعل مع المتحدث و ذلك مثل النظر مباشرة إلى المتحدث، الإيماءات الرأسية المشجعة ، إشارات اليد بعض الكلمات التي تحث المتحدث على مواصلة الحديث مثل: فعلا ، حقا ، صحيح ، أنا معك...
5- عدم مقاطعة المتحدث و كذا عدم الشروع بإبداء الرأي قبل الانتهاء من الحديث.

إرشادات التواصل مع الطفل:

من المعلوم أن عملية التواصل تبدأ منذ السنة الأولى مع الطفل ، و أن أول من يتواصل مع الطفل
في أسرته هو أمه ، حيث تستجيب الأم لطفلها من خلال الأساليب التي يستعملها ، هذه الأساليب التي تتمثل في:
أولا : اللغة: على الرغم من أن الأطفال لا يستطيعون الكلام بشكل جيد و مفهوم في السنة الأولى
من أعمارهم – حيث يكاد يقتصر الطفل في هذه الفترة على كلمتي (ماما – بابا) لكنهم يفهمون الكثيرمما يقال لهم ، و الكلمات القليلة التي يعرفها الطفل مرتبطة بالصور التي يراها في الكتب و التلفاز
و هي في الغالب صور لحيوانات أو نباتات أو لأشياء تحيط بهم لكنهم يستطيعون على العموم التجاوب مع كل ما يقال لهم.
- **البكاء** ، يعتبر البكاء كذلك وسيلة للتواصل عند الطفل بحيث يعتمده للتعبير عن احتياجاته و متطلباته،و سرعان ما يتعلم الأهل أسباب البكاء عند الطفل ، إن الأم بصفة خاصة تميز ما إن كان سبب البكاء هو الجوع أو الخوف أو النوم... و بالتالي فهي تستجيب له و تتواصل بحسب ذلك.
- تعبيرات الجسم و الوجه ، عندما يكبر الطفل فإنه يصبح قادرا على استخدام وجهه للتعبير عن مشاعره و احتياجاته عن طريق الضحك و الابتسامة و النظر بالعينين والركل بالرجل فتحدد هذه الإيماءات والإشارات أكثر فأكثر حيث يرفع يديه دلالة على أنه يريد يحمل أو يشير إلى الكوب للتعبير عن حاجته إلى الشرب و هكذا.

و بما أن اللغة هي الـأداة الرئيسية لتعليم الطفل التصرف اللائق ومن خلالها يمكن للأسرة وضع
طفلها على طريق التواصل الاجتماعي المطلوب فعليها أن تعتبر الكلام مع طفلها جزءا مهما من حياتها و ذلك بالاعتماد على الإرشادات التربوية التالية :

1- البدء في الحديث مع الطفل في سن مبكرة ، إن مهارة التواصل راسخة في سن مبكرة عند الطفل يعتبر بمثابة حجر الزاوية الذي يبني عليه الطفل القدرة على الاستمرار في الكلام و الحوار و يسهل عليم التواصل لغويا مع وسطه الأسري خصوصا و محيطه الاجتماعي عموما.

1- **تخصيص وقت للجلوس مع الطفل و التحدث إليه**:

لا يكفي لتحقيق التواصل الجيد مع الطفل أن نتحدث معه و نحن مشغولون بأمور أخرى، كأن تتحدث الأم مع طفلها و هي تقوم بالطبخ أو الأعمال المنزلية بل المطلوب هو تخصيص وقت يسمح بتحقيق تواصل حقيقي بين الطفل و أسرته ، كما ينبغي تجنب جميع المعوقات التي من شأنها أن تقطع حبل التواصل مثل الحديث مع الطفل أثناء قراءة الجريدة أو التفرج على التلفاز أو الانشغال بالمكالمات الهاتفية.

3- الإصغاء إلى الطفل عند الحديث:

إن من أهم ما ينمي مهارة التواصل عند الطفل هو الإصغاء إليه عند الحديث و التجاوب معه حتى يحس بأنه موضع اهتمام من طرف أسرته و حتى يجد ما يشجعه على التعبير عن مشاعره و أفكاره في الوسط و لذلك فإن من أسوء العبارات التي تقلق الطفل و تسبب له نوعا من الإحباط و تجعله يحجم عن التعبير عن مشاعره داخل أسرته معنى عبارة (فيما بعد ليس الآن) أو السكوت عنه و عدم الإجابة عن أسئلته و مطالبه ، فإن مثل هذه الردود عندما تتكرر من طرف الأسرة فإنها تسبب إحباطا كبيرا للطفل من الناحية النفسية كما أنها تعيق نموه اللغوي.

4- التلامس مع الطفل أثناء الحديث:

من العوامل التي تعيق من العملية التواصلية و تجعل الطفل يشعر بحرارة التواصل التلامس معه بطريقةتشجعه على الاستمرار في التواصل معنا كأن نربت على ظهره أو كتفه بين الحين و الآخر و أن نمسك بيده تعبيرا عن الحب و عن الرضا بما يقوله و يدلي به.

5- الأخطار التي تنجم عن عدم الإصغاء إلى الطفل:هناك أخطار لا محالة تنجم عن عدم الإصغاء إلى الطفل و التواصل معه داخل الأسرة ، و تتمثل هذه الأخطار في تشويه نظرة الطفل إلى الأسرة ، فبدل أن ينظر إليها بالشكل المطلوب فإن ذلك من شأنه أن يغير من نظرة الطفل إلى الأسرة ، فبدل أن ينظر إليها على أنها الوسط الذي يوفر له الحماية و يفسح له المجال للتعبير عن كل ما يختلج في صدره من مشاعر و أحاسيس فإنه يصبح ينظر إليها على أنها مجرد مكان للأكل و المبيت و تلبية الحاجات العضوية و هذا يتنافى بطبيعة الحال مع الوظائف المتعددة التي تقوم بها الأسرة كمؤسسة تجاه الطفل.

2- البحث عن وسط بديل :عندما لا يجد الطفل في أسرته من يتواصل و يصغي إلى مشاغله و حاجاته فإنه يلجأ إلى أوساط أخربو أطراف أخرى تحقق له ذلك فقد يلجأ مثلا إلى

أبناء الجيران أو إلى زملاء المدرسة أو إلى المعلمين... و الخطر الذي ينجم عن هذا بطبيعة الحال هو أن هناك حاجات سيكولوجية لا يمكن تلبيتها خارج الإطار الأسري مثل الحاجة إلى الأمن ، الحاجة إلى الراحة، الحاجة إلى العطف و الحنان ... وكل هذه الحاجات لا يمكن تحقيقها بالشكل الكافي إلا من خلال الحوار و التواصل مع الطفل و الإصغاء إليه.

3- الوقوع في الانحراف:

عندما تغلق أبواب الحوار داخل الأسرة و عندما يقطع حبل التواصل مع الطفل و تصبح الأسرة كما قلنا سابقا مجرد مكان للأكل و المبيت فإن ذلك يدفع الطفل للارتماء في أحضان الشارع أين لا يجد أيةصعوبة في التواصل معه بل على العكس من ذلك يجد المجال مفتوحا للتعبير عن كل ما يريده و ما يبتغيه دون أية عقبات أو معوقات و هذا من شأنه بطبيعة الحال أن يجعل الطفل عرضة للوقوع في كثيرمن الآفات و الانحرافات التي تهدد مستقبل الطفل و مصيره.

المراجع:

-مختار الصحاح ، الرازي، دار الكتاب العربي ، بيروت.
علم نفس النمو ، حامد عبد السلام ، وهران ، عالم الكتب ، القاهرة.
محاضرات في علم النفس اللغوي ، حنفي بن عيسى ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر.
النمو النفسي ، عبد المنعم المليجي و حلمي المليجي ، دار النهضة العربية .
طفلك من سنواته الأولى ، عبد المجيد رزق الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.
مدخل إلى علم النفس المعاصر ، مصطفى عستوي ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر.
نحو تربية مؤمنة ، محمد ناضل الجمالي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس.
علوم التربية ، أحمد شيشوب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.